مفهوم الاستشراق

فمن أهم وأخطر أنواع هذا الغزو الفكري والثقافي :حركة الاستشراق وهذه الحركة قامت بأبشع حملات على الإسلام بدلا من الحملات العسكرية، و هي حملات فكرية وعلمية – كما يدعون -وتعمل في أوساط العلماء والمثقفين والمفكرين، فهي أشد فتكا من الحروب والقتال بأسلحة الدمار الشامل .وقد مولت هذه الحركة ومازالت تمول -الحكومات الغربية والكنائس المسيحية والصهاينة والشيوعية وغيرها ممن يحاربون الإسلام .فالاستشراق أداة طيعة للمنصرين وغيرهم ممن يعادون الإسلام ويعملون ليل نهار في إزالته ومحوه من سطح الأرض والكرة الأرضية كلها .وتوجد في الغرب معاهد ومؤسسات ومركز تعنى بالدراسات الاستشراقية، ويعمل فيها مئات من الباحثين من غير المسلمين .وهدفهم في ذلك ليس إظهار المحاسن للدين الإسلامي بل إظهار المساوئ المزعومة له، وإلقاء الشك في قلوب المسلمين، وإبعادهم عن دينهم وعقيدتهم، ومنع غير المسلمين من أبناء دينهم و وطنهم عن الدخول في الإسلام الذي هو الدين الحق ودين العدل والمساواة ودين السلام والأمن .اللهم إلا أن قلة قليلة من المستشرقين تهديهم دراساتهم وبحوثهم إلى الحقيقة وإظهار الحق، ومن ثم إلى الاعتناق بالإسلام والدفاع عنه. وإن الاستشراق قد غير اسمه في الآونة الأخيرة، وبدأ يطلق على نفسه اسم الدراسات الإقليمية أو الدراسات الاجتماعية بدلا من الدراسات الاستشراقية، لكن أعماله ونشاطاته قد بقيت على ما كانت عليه في السابق.

أولاً: التعريف بالاستشراق ونبذة من تاريخ الحركة الاستشراقية.

الاستشراق تعريب للكلمة الإنجليزية **Orientalism** مأخوذ من الاتجاه إلى الشرق.

وكلمة الاستشراق مشتقة من (شرق)، ((يقال شرقت الشمس شروقاً إذا طلعت)) ، وهي تعني مشرق الشمس، وترمز إلى مجال الاهتمام بهذا الحيز المكاني من الكون وهو الشرق.

أما إذا أضيف إليها الألف والسين والتاء والتي تعني طلب الشرق؛ فإن معناها طلب علوم الشرق وآدابه وأديانه بصورة شاملة، ومنهم من يقول: ليس القصد منه الشرق المكاني الجغرافي، وإنما هو الشرق المقترن بالشروق والنور والهداية.

واصطلاحاً: اتجاه فكري يُعنى بدراسة الإسلام والمسلمين ويشمل ذلك كل ما يصدر عن الغربيين من دراسات تتناول قضايا الإسلام والمسلمين في العقيدة والسنة والشريعة والتاريخ، وغيرها من مجالات الدراسات الإسلامية الأخرى.

ويُلحق بالاستشراق ما تبثُّه وسائل الإعلام الغربية من كتابات وبرامج تتناول الإسلام والمسلمين وقضاياهم.

وقريباً من هذا التعريف الشامل يعرِّف ((إدوارد سعيد)) الاستشراق بقوله: ((كل من يقوم بتدريس الشرق أو الكتابة عنه أو بحثه، وسواء كان ذلك المرء مختصاً بعلم الإنسان ((الأنثربولوجيا))، أو بعلم الاجتماع، أو مؤرخاً أو فقيه لغة ((فيلولجيا)) في جوانبه المحدودة والعامة على حد سواء هو ((مستشرق))، وما يقوم به هو أو هي بفعله هو ((استشراق)).

نشأة الاستشراق وتطوره:

اختلف الكُتَّاب من مسلمين وغير مسلمين حول تحديد نشأة الاستشراق، وذُكر في ذلك أقوال عدة، ويرتبط تحديد نشأة الاستشراق بتعريف هذا المصطلح وتحديد مفهومه.

١- بداية نشأة الاستشراق بأول اتصال بين الشرق والغرب قبل الميلاد مع بداية الصراع بين الفرس واليونان في القرن السادس ق. م، ثم ما كتبه ((هيرودوتس)) اليوناني عن الشرق، ثم الاكتساح اليوناني بقيادة الإسكندر الأكبر بلاد الشرق إلى أن أشرف على أبواب الصين في القرن الرابع ق.م.

٢- بظهور الإسلام وما وقع من جدل وحوار بين المسلمين وأهل الكتاب، ومحاولات اليهود والنصارى للتشكيك في عقيدة المسلمين وفي معجزات الرسول صلى الله عليه وآله وسلم.

٣- وترسخ هذا الجدل بما كتبه ((يوحنا الدمشقي)) - في بداية القرن الثاني الهجري – من رسائل لمحاورة المسلمين ونصرة إخوانه من النصارى في تلك الفترة.

٤- ومن الباحثين من يحدد نشأة الاستشراق بالفتح الإسلامي للأندلس في بداية القرن الثامن الميلادي؛ إذ شهدت جامعات إشبيلية، وقرطبة، وغرناطة، إقبالاً كبيراً من الأوربيين لدراسة الحضارة الإسلامية، وخصوصاً مع ازدهار حركة ترجمة الكتب العربية إلى اللغات الأوربية في تلك الفترة.

٥- أما مَنْ حدد القرن العاشر الميلادي بداية للاستشراق فأرجعوا ذلك إلى تزايد اهتمام الغرب باللغة العربية وآدابها، وتزايد الاهتمام بحركة الترجمة، وكان من أبرز من اهتم بهذا الاتجاه الراهب الفرنسي ((سلفستر الثاني)) الذي درس في الأندلس ثم تقلد منصب البابوية عام ٩٩٩م، وأوصى بفتح المدارس وبترجمة التراث الإسلامي إلى اللغات الأوروبية.

٦- ويحدِّدُ المستشرق الألماني ((رودي بارت)) القرن الثاني عشر الميلادي البداية الفعلية للاستشراق مع ظهور أول ترجمة لاتينية لمعاني القرآن الكريم بتوصية من ((بطرس)) الملقب بالمحترم الذي زار الأندلس، وأوصى بإصدار أول ترجمة لمعاني القرآن الكريم إلى اللاتينية عام ١١٤٣م.

٧- وتعد الحروب الصليبية مع بداية القرن الثالث عشر الميلادي من البدايات القوية لظهور حركة الاستشراق.

٧- ويحدد عدد من الباحثين البداية العلمية لظهور حركة الاستشراق بانعقاد مجمع ((فيينا)) عام ١٣١٢م والذي أوصى بإنشاء كراسي اللغة العربية في جامعات ((أكسفورد)) و((كامبردج)) و((بولونيا)) و ((روما)) و((السربون)).

٨- ويُعَدُّ القرنان: التاسع عشر، والعشرون عصري الازدهار الحقيقي للحركة الاستشراقية؛ إذ ظهرت في هذين القرنين الجمعيات الاستشراقية التي نشطت في إصدار المجلات والمطبوعات الاستشراقية، وشهد القرن التاسع عشر بداية المؤتمرات الدولية للمستشرقين؛ إذ عقد أول مؤتمر دولي عام ١٨٧٣م.

<u>مناهج المستشرقين</u>

من الصعب أن نجمع المستشرقين كلهم في بوتقة واحدة ونزعم أن منهجهم كان واحداً في كل الأزمان والأوقات وفي كل الموضوعات التي تناولوها، ولكن تسهيلاً لهذا الأمر فيمكن إجمال هذه المناهج التي يشترك فيها عدد كبير من المستشرقين قديماً وحديثاً في تناول العلوم الإسلامية عموماً.

١- محاولة رد معطيات الدين الإسلامي إلى أصول يهودية ونصرانية

وهذا الأمر يتمثل في كثير من الكتابات حول الوحي وحول القرآن الكريم والسنة النبوية المطهرة، ويقول في ذلك عماد الدين خليل نقلاً عن جواد علي "إن معظم المستشرقين النصارى هم من طبقة رجال الدين أو من الخريجين من كليات اللاهوت، وهم عندما يتطرقون إلى الموضوعات الحساسة من الإسلام يحاولون جهد إمكانهم ردها إلى أصل نصراني...". وقد ذكر طيباوي في دراسة أن عدداً من المستشرقين الناطقين باللغة الإنجليزية يعتقدون بذلك ومنهم على سبيل المثال مونتجمري وات وبرنارد لويس وغيرهم. وانظر أيضاً البحث الذي كتبه التهامي نقرة بعنوان 'القرآن والمستشرقون'.

٢- التشكيك في صحة الحديث النبوي الشريف عموما

دأب المستشرقون عموماً على التشكيك في صحة الحديث النبوي الشريف من خلال الزعم بأن "الحديث لم يدون وقد نقل شفاهاً مما يستوجب في نظرهم عدم صحة الأحاديث" والأمر الثاني في نظرهم كثرة الوضع في الحديث، والأمر الثالث اتهام المستشرقين للفقهاء بوضع الأحاديث وتلفيقها "لترويج آرائهم واختلاق الأدلة التي تسند تلك الآراء..".

٣- البحث على الضعيف والشاذ من الروايات:

لقد أخذ المستشرقون بالخبر الضعيف في بعض الأحيان وحكموا بموجبه، واستعانوا بالشاذ ولو كان متأخراً، أو كان من النوع الذي استغربه النقدة وأشاروا إلى نشوزه، تعمدوا ذلك لأن هذا الشاذ هو الأداة الوحيدة في إثارة الشك..

٤-الاهتمام بالفرق والأقليات وأخبار الصراعات والبحث عن الوثنيات والتاريخ السابق لبعثة الرسول صلى الله عليه وآله سلم. فقد كثرت كتابات المستشرقين عن الفرق التي ظهرت في التاريخ الإسلامي وأعطوها من المكانة والاهتمام أكثر مما تستحق، بل إن هناك من كتب عن المنافقين في عهد الرسول (صلى الله عليه وآله) وأطلق عليهم لقب المعارضة لإعطاء ما قاموا به من عداوة لله ولرسوله شرعية. وحصل بعضهم على درجة الدكتوراه في بحوث حول هذه الفرق

.٥- الخضوع للهوى والبعد عن التجرد العلمي:

فالمستشرق يبدأ بحثه وأمامه غاية حددها، ونتيجة وصل إليها مقدماً، ثم يحاول أن يثبتها بعد ذلك، ومن هناك يكون دأبه واستقصاؤه الذي يأخذ بأبصار بعضهم...".

٦- التفسير بالإسقاط

وهو "إسقاط الواقع المعاصر المعاش، على الوقائع التاريخية الضاربة في أعماق التاريخ فيفسرونها في ضوء خبراتهم ومشاعرهم الخاصة وما يعرفونه من واقع حياتهم ومجتمعاتهم" ، فمثلاً واقع الغربيين يدل على تنازعهم على السلطة وإن كان الأمر يبدو في الحاضر انتخابات وحرية اختيار ولكن الحقيقة أن من يملك المال يستطيع أن يصل إلى الأصوات .

٧- المنهج الانتقائي وإثارة الشكوك في معطيات السنة والتاريخ.

عرف عن كثير من المستشرقين في كتاباتهم حول السيرة النبوية الشريفة وحول التاريخ الإسلامي أنهم ينتقون بعض الأحداث والقضايا ويكتبون عنها ويهملون غيرها من مصادر ومراجع وأجهدوا أنفسهم في إثارة الشكوك وقد أثاروا الشك حتى في اسم الرسول (صلى الله عليه وآله) ولو تمكنوا لأثاروا الشك حتى في وجوده...".

٨- التحريف والتزييف والادعاء

قام بعض المستشرقين بتحريف كثير من الحقائق التي تخص الإسلام ورسالته وتاريخه فمن ذلك مثلاً أن بعضهم أنكر عالمية الإسلام وبخاصة فيما يتعلق برسائل الرسول (صلى الله عليه وآله) إلى الملوك والأمراء خارج جزيرة العرب كرسائله إلى هرقل والمقوقس وكسرى ، وإنكار عالمية الرسالة الإسلامية يظهر فيما كتبه جوستاف لوبون في كتابه 'تاريخ العرب' حيث زعم أن الرسول (صلى الله عليه وآله) رأى أنه كان لليهود أنبياء وكذلك للنصارى فأراد أن يكون للعرب كتاب ونبي، وكأن الرسالة والنبوة أمر يقرره الإنسان بنفسه.

٩- اعتماد مصادر غير موثوقة لدى المسلمين

من العيوب المنهجية في الدراسات الاستشراقية أنهم يعمدون إلى المصادر غير الموثقة عند المسلمين فيجعلونها هي المصدر الأساس لدراساتهم وبحوثهم ومن ذلك أنهم يرجعون إلى كتب خاصة ومعينة فيجعلونها مرجعاً أساسياً في دراساتهم للتاريخ الإسلامي وللمجتمع الإسلامي، كما يعمدون إلى المراجع التي ضعفها العلماء المسلمون أو طعنوا في أمانة أصحابها فيجعلونها أساساً لبحوثهم أو كان أصحاب تلك المراجع منحازين إلى فئة معينة أو متعصبين.

<u>وسائل الاستشراق</u>

لم يترك المستشرقون وسيلة لنشر أبحاثهم وبث آرائهم إلا سلكوها وقد تمثلت فيما يلي ، على سبيل المثال لا الحصر :

١. اكتساب عضوية مجامع اللغة العربية .

٢. إصدار المجلات المتخصصة ببحوثهم حول الإسلام وبلاده وشعوبه .

٣. إلقاء المحاضرات في الجامعات والجمعيات العلمية .

٤. نشر المقالات في الصحف والمجلات العربية ، وقد استطاعوا شراء عدد من الصحف المحلية للبلاد العربية والإسلامية ، وقد استطاعوا أن يستأجروا عدداً من هذه الصحف لنشر مقالاتهم والترويج لأفكارهم .

٥. إصدار الموسوعات الإسلامية بعدة لغات .

٦. تطبيع الفكر الاستشراقي.

٧. تأليف الكتب في موضوعات مختلفة عن الإسلام ورسوله وقرآنه ، وفي أكثرها كثير من التحريف المعتمد في نقل النصوص أو ابتسارها وفي فهم الوقائع التاريخية .

٨. عقد المؤتمرات لإحكام خططهم في الحقيقة ، ولبحوث عامة في الظاهر ، وما زالوا يعقدون هذه المؤتمرات منذ عام ١٧٨٣م .

٩. إنشاء الموسوعة "دائرة المعارف الإسلامية" وقد أصدرت بعدة لغات.